

استراتيجية تسيير المادة الأولية : إقتصادها وتقصيبها

- الدكتور عمر قلماوي

يهدف هذا البحث بالدرجة الأولى إلى محاولة معرفة مفاهيم الجانب الاقتصادي و تسييره لكل من المادة الأولية و المنتج المميز لكل مرحلة من مراحل التسلسل العملي لصناع فترة ما قبل التاريخ . لذا تكمن فكرة اقتصاد التقصيب و اقتصاد المادة الأولية فى تحديد اختيار استراتيجية تسيير الصناعات الحجرية و كذا العلاقة المتبادلة ضمن تطورها العام .

I - استراتيجية اقتناء المادة الأولية

يجب الأخذ بعين الإعتبار مشاكل الحصول على المواد الأولية ومميزاتها وكذا التنظيم الفضائي للنشاطات التقنية المرتبطة بهذا الإقتناء .
وفي هذا المجال الذي لم يدرس بعد ، وضعت بعض التساؤلات التي يجب الرد عليها :

1- مميزات المادة الأولية

- إمكانية نقلها أم لا ، ثم تجزئة في عين المكان القطعة الحجرية الخالية من التقصيب أو عدم تحويلها .
- المرفولوجية : اختيار مرفولوجية طبيعية أو مشابهة للساند .
- وبالإضافة إلى هذا ، فيه بعض الملاحظات بالاختيارات التي لها علاقة بموجبات الصناع من بينها :

2 - اللجوء إلى المادة الأولية

- مكان استغلال الموارد
- الجانب الكمي : عدد المنابع المستغلة
- الجانب النوعي : أنواع المواد الأولية وتمركزها (محليا قريبة ، بعيدة ...)

3 - وسائل الحصول على المادة الأولية

- استخراجها أو جمعها

4 - التنظيم الفضائي للنشاطات التقنية المرتبطة باقتناء المادة الأولية .

- الأشكال التقنية : على شكل قطعة حجرية مجزئة شظايا ، فضلات (بداية التحويل بعين المكان) .
- وجود أو غياب مواقع متخصصة في الإقتناء أو بداية تحويل القطع الحجرية .

II - مفهوم اقتصاد المادة الأولية و التقصيب .

في السنوات الأخيرة ، ارتكزت الأبحاث الخاصة بالمجموعات الصناعية الحجرية على مفهوم المادة الأولية واقتصاد التقصيب . بعدما تم تعريف هذا النوع من الدراسة التحليلية والعمل به لأول مرة من طرف الباحثة أينيزان م . ل (1976) تعرضت هذه الفكرة إلى نقاش حاد يتضمن نقطة اقتصاد التقصيب أي الفرق في تفسير المنتوجات المميزة لكل مرحلة من السلسلة العملية التي يقوم بها الصانع . وعلى هذا الأساس تم طرح المشكل الرئيسي القائم على تمييز ما بين اقتصاد المادة الأولية واقتصاد التقصيب . وفي سنة 1987 اقترحت بارلاسك . استراتيجيات تسيير الصناعات الحجرية التي لم تعرف تحليل علمي منطقي لمحتواها الأثري وكذا علاقتها . وبهذا تظهر فكرة اقتصاد المادة الأولية كعنصر مكمل لاقتصاد التقصيب بحيث كلاهما يهتمان بمختلف المراحل للسلسلة العملية في الإنتاج الصناعي الحجري : اقتناء المواد

وإنتاج الأسندة .

1 - إشكالية المادة الأولية

نعرف أن المجموعات الصناعية الحجرية التي تم تركها من طرف شعوب فترة ما قبل التاريخ ليست متجانسة . تشمل هذه المجموعات بنسبة متغيرة حسب المراحل والمواقع ، على أفواج من الأدوات التي لها صلة بالميدان الوظيفي المميز : كممارسة الصيد ، سلخ جلود الحيوانات ، القطف ...

ولهذه الاختلافات الوظيفية اختلافات تقنية منها المرفولوجية التي يحتاجها الصانع عند إنجاز مختلف أدواته بحيث تساعده على إيجاد أجوبة لعدة اعتبارات من فوج إلى آخر . وظروف استعمال كل فوج من الأدوات يسمح بمعرفة جزء من النمط الإنتاجي لهذه المجموعة الصناعية بشكل فردي أو بسلسلة معينة .

و نتيجة لذلك يتطلب لكل الأفواج الوظيفية الكبرى (أسلحة أدوات المستعملة للقطف ...) موجبات لعينات الأنماط الإنتاجية ، كما قد تتعرض إلى بعض الصعوبات الأكثر دلالة منها :

- صعوبات تقنية تكمن مثلاً في مرفولوجية الأداة ، الحافة ...
- صعوبات خاصة بالمادة الأولية : النسبة الكافية للحصول على الأداة
- صعوبات التسيير المتعلقة بالفترة الزمنية لإنتاج الأدوات
- صعوبات التسيير المتعلقة بالتوزيع المساحي (عملية الإنتاج أو التعديل في أي مكان مثلاً)
- صعوبات لها علاقة بالتنقل (استقرار أو التنقل)

و أمام احتياجات أدوات متنوعة يطرح السؤال الآتي : كيف يمكن تحقيق و تنظيم الإنتاج الصناعي مع احترام بعض القواعد و الصعوبات التي تنجم عن ذلك في كل فوج من الأفواج ؟

من هنا ، يتوفر لصانع ما قبل التاريخ منهجين رئيسيين و هما :
- تمييز أفواج الأدوات بواسطة التهذيب على أسندة مقصبة غير مختلفة .

- العمل على إنتاج أسندة مختلفة .

1- إنتاج أسندة غير مختلفة

للأسندة المنتوجة من عملية التقصيب شكلا طبيعيا واحداً لكن الفرق الذي يميز الأدوات يكمن في اختيار الشظايا على حدة ثم تهذيبها و مادام فيه أسندة غير مختلفة فإنه يمكن القول عن عدم تطور اقتصاد التقصيب و كذلك اقتصاد المادة الأولية بحيث ارتكزت استراتيجية إنتاج مجموعة الأدوات على سلسلة عملية بسيطة الإنجاز .

ب - إنتاج أسندة مختلفة

1 - نجد في هذا المحتوى الصناعي إنتاج شامل للأسندة بحيث يخص مجموعة الأنواع التقنية و الوظيفية . وبهذه النظرة ، يقوم الصانع إذن بتعداد سلسلة عملية فريدة تتخللها مراحل خاصة حيث يستغل المنتج العام و الثانوي المتنوع كعناصر لأسندة أفواج الأدوات . ومن ثم يمكن ملاحظة :

- استعمال مادة أولية واحدة أو أكثر
- إجراء سلسلة عملية فريدة للمنتوج الصناعي
- استعمال قياسي للمنتوج الثانوي المنبثق من السلسلة العملية
- إنتاج مجموعة أسندة متنوعة لأفواج من أدوات مختلفة في مكان و فترة زمنية واحدة

2 - أما في المحتوى الثاني ، نجد فصل في الإنتاج للأصناف التقنية و الوظيفية الكبيرة ، بمعنى استخدام عدة سلاسل عملية لإنتاج مجموعة الأدوات .

* الإنتاج :

- استخرجت الشظايا من النواة الخاصة بتشكيل الشظايا
- استخرجت النصال من النواة الخاصة بتشكيل النصال

- استخرجت النصيلات من النواة الخاصة بتشكيل النصيلات.

وبهذا يفهم أن لكل مرحلة من السلسلة العملية الخاصة تخضع إلى عائلة الأدوات المنتمية إليها .

* اختيار المادة الأولية : يمكن القول أن تعداد هذه السلاسل العملية الخاصة قد تنجز على مواد أولية مختلفة بحيث تستغل كل واحدة منها طبقاً لتركيبها وطبيعتها

* توزيع قدرة العمل: يفسر لنا هذا العنصر عدم وجود شروط مسبقة مشابهة في شتى السلاسل العملية عند الصانع الماهر الذي يكسب خبرة في الإنجاز واستعمال تقنياته في نوعية منتوجه .

بعض التوجيهات الببليوغرافية

BODEA (E)1988-Analyse technologique du débitage du niveau IIA.In: turffreau et I.Sommé (Ed), Le gisement paléolithique moyen de Biache - saint - Vaast (pas de Calais), Vol.I, Paris, t.21, p (Mémoire de la Société Préhistorique Française).

COLLECTIF, 1980 - Préhistoire et technologie Lithique .Paris, C.N.R.S (Cahiers de l'U.R.A., 28 n 1) 59 p .

FEBLOT - AUGUSTINS (J), 1990 - Exploitation des matières premières dans l'Acheuléen d'Afrique : perspectives comportementales .Paléo 2, p.42.27.

GENESTE (J.M), 1988 - Systèmes d'approvisionnement en matières premières au paléolithique supérieur en Aquitaine In: M.Otte (Ed), l'Homme de Néandertal, Vol.8, La mutation, Liège , ERAUL p.61.70.